

ندوة المجمع الثقافية الأولى

الموضوع: أسباب الضعف في اللغة العربية

عقد مجمع اللغة العربية الأردني ندوته الثقافية الأولى في مقره في جبل الحسين الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الأحد 18/12/1977م الموافق 1398/1/8هـ. وكان موضوع الندوة (أسباب الضعف في اللغة العربية). وقد أدارها رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، واشترك معه فيها كل من عضو المجمع الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم، والدكتور نصرت عبدالرحمن، من أعضاء الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية في كلية الآداب، في الجامعة الأردنية. وحضر الندوة عدد من أعضاء المجمع، ونخبة من المهتمين باللغة العربية، والكُتّاب الأردنيين، ومن العاملين في مديرية التربية في محافظة عمان. استهلّ الدكتور عبدالكريم خليفة الندوة بالإشارة إلى أن هناك مشكلة حقيقية تستدعي الاهتمام والمناقشة، وهي مُشكلة الضعف العام في اللغة العربية؛ فعلى الرغم من انتشار التعليم في العالم العربي بشكل واسع، لا يزال خريج الدراسة الثانوية، في الغالب، يعجز عن قراءة صفحة واحدة قراءة صحيحة، وعن كتابة رسالة قصيرة دون أخطاء كثيرة: في الإملاء، وفي التركيب، وفي القواعد الصرفية والنحوية. وليس خريج الجامعة بأحسن حالاً منه. يضاف إلى ذلك أن الكثيرين من المعلمين والمعلمات، حتى ممّن يُدرّسون اللغة العربية نفسها، يعانون ضعفاً ملموساً فيها، وكذلك الكثيرون من الكُتّاب أنفسهم، ولا سيما من الشبان.

وأشار الدكتور خليفة إلى أن هذه، في الواقع، مشكلة خطيرة، لأن اللغة هي مرآة الأمة، وهي رابطة الوحدة التي تشمل الأمة في كل أرجاء وطنها الكبير، وعلى الرغم من أن الموضوع قد استأثر باهتمام واسع وطويل الأمد من جميع الهيئات المعنية باللغة العربية، ظلّ الضعف كما هو، ولم تُتخذ أية خطوة عملية نحو معالجته.

وقال الدكتور خليفة: إننا نجتمع الآن مع هذه النخبة الطيبة من الأساتذة والمرّيين الحريصين على كرامة اللغة العربية، لكي نتبادل الرأي معهم في هذا الموضوع الحيوي، لعلنا نضع أيدينا على مواطن الداء، ونتعاون معاً على أن نجد له الدواء.

ثم أعطى الكلمة للدكتور محمود إبراهيم، فبدأ بالحديث على الازدواجية في اللغة، وقال: إن الطفل يتعود على سماع اللهجة العامية في البيت والشارع، وعلى التحدّث بها؛ وحين يصل إلى المدرسة يجد أمامه لغة أخرى جديدة عليه، يبدأ بتعلّمها على معلّميه، فيحسّ عندئذ بهوّة واسعة بين اللغة التي اعتادها، واللغة الجديدة التي بدأ يتعلّمها، فكانّ هذه لغة أجنبية يُفرض عليه أن يتعلّمها وأن يُترجم إليها أفكاره؛ وهذا سبب من أسباب الضعف الذي نعاني منه في اللغة العربية.

وقال الدكتور محمود: إن هناك أسباباً أخرى عديدة، لا يمكنه أن يفصّل الحديث فيها دفعة واحدة، ولكنه يقتصر الآن على هذا السبب الأول - وهو الازدواجية - على أن يعود إلى تناول بعض الأسباب الأخرى.

وأعطيت الكلمة بعده إلى الدكتور نصرت عبدالرحمن، فبدأ بتلاوة نصّ أخذه من (أدب الكاتب لابن قتيبة) يعيب فيه على المتأدبين ضعف لغتهم؛ ثم تلاه بنصّ لأحمد أمين في الموضوع نفسه، من كتابه (فيض الخاطر) في المعنى نفسه. ثم قال: إن بين هذين النصّين نحو ألف عام من الزمن، ومع ذلك كانت الشكوى تتردّد في كليهما من ضعف لغة الكتاب. فالشكوى إذن قديمة جدّاً، رافقت تاريخ الأدب العربي كلّهُ، ولا تزال تتكرّر بالنعمة عينها.

وقد أنكر الدكتور نصرت أسباب هذه الشكوى، وقال إنها غير قائمة، لأنه لا يزال لدينا اليوم كتّاب يكتبون بلغة أفضل من لغة أحمد أمين نفسه، وهذا يعني أن

اللغة العربية بخير، وأن الشكوى المتكررة ليست سوى من قبيل القلق الحريص على أن تظلَّ اللغة قويَّةً عزيزةً.

غير أن الدكتور نصرت عاد فاعترف بوجود المشكلة، وتحدَّث على سبب من أسباب الضعف في اللغة العربية، إذ قال: إن الكتب المدرسية في البلدان الغربيَّة توضع على أسسٍ تربوية ونفسية تُعرف مقدرة الطالب في كل مرحلة من مراحل الدراسة، فتجعل لكل مرحلة قاموساً من المفردات خاصاً بها. وأما عندنا فقد لاحظ المتحدث أن كتاب القراءة للصف السادس الابتدائي، أصعب في مفرداته وتركيبه من كتاب الصف الثالث الإعدادي، مما يدلُّ بوضوح على عدم وجود خطة تعليمية ذات أسس نفسية وتربوية سليمة. فلا غرابة إذن في أن يشعر الطالب بشيء من الفتور والتردد أمام الصعوبة اللغوية التي تبرز له في كتب المدرسة.

وعقَّب الدكتور عبدالكريم خليفة على ذلك بأن حاول تلخيص ما قاله الزميلان: الدكتور محمود إبراهيم والدكتور نصرت عبدالرحمن، ثم وجَّه الكلام إلى الحضور، وقال إن لديهم من الأفكار والآراء حول الموضوع ما يمكن أن يزيد الموضوع إنارة وبلورة.

واشترك في المناقشة كل من السادة: حسني فريز، ومحمد عطيات، والأسناذ مصطفى الزرقا، وروكس العريزي، وعبدالرحمن بشناق، والدكتور محمد بركات أبو علي. ثم طلب الدكتور محمود إبراهيم الكلمة، فعلق على رأي زميله الدكتور نصرت عبدالرحمن فقال: إن ما يراه الزميل المحترم من أن اللغة العربية بخير، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، معناه أن المشكلة غير موجودة، وأن مناقشتها لا ضرورة لها؛ ولكن الواقع أن ما يراه من أن هناك اليوم كُتَّاباً يكتبون بلغة أفضل من لغة أحمد أمين، إنما هو أمر ينطبق على أفراد معدودين، وليس على المتعلِّمين والمتقِّين عامة. وقال إن استمرار الشكوى منذ زمن ابن قتيبة، إلى

زمن أحمد أمين، ثم إلى اليوم دليل واضح على أن هناك مشكلة حقيقية تقتضي العلاج.

ثم أشار الدكتور محمود إلى أن المشكلة تكمن في أكثر من سبب واحد: فهناك الكتاب المدرسي الذي لا تُراعَى فيه سنّ الطالب ومقدرته الذهنية؛ وهناك المنهاج الذي لم يوضع على أسس نفسية وتربوية وتعليمية سليمة؛ وهناك المعلم الذي كثيراً ما يكون هو نفسه ضعيفاً في اللغة وقواعدها وبلاغتها. وما لم يُعدَّ المعلم إعداداً جيداً، سيظلّ هو أحد الأسباب الكبرى في ضعف اللغة عند طلابه.

وختم الدكتور عبد الكريم خليفة المناقشة بقوله: إن هذه هي ندوتنا الأولى، وقد خصّصناها لمعالجة أسباب الضعف في اللغة العربية، لأن المجمع قام أساساً من أجل خدمة هذه اللغة الشريفة، لغة القرآن الكريم، ولغة الأمة العربية بأسرها. والمجمع يُعتبر هذه اللغة أمانةً مقدسة في عنقه، يحرص على سلامتها، وعلى كرامتها وعلى تلافي أسباب الضعف فيها.

وقال الدكتور خليفة إن لغتنا ليست أكثر صعوبة من للغات الغربية، فنحن لو أخذنا تصريف الأفعال باللغة العربية، وقارناه بتصريف الأفعال في اللغة الفرنسية، مثلاً، لوجدنا أن لغتنا أسهل كثيراً. وضرب على ذلك مثلاً من تصريف الفعل: (ذَهَبَ) ومقابله بالفرنسية (ALLER) وبَيَّن كيف يتنقّل الفعل بالفرنسية بين شكلين مختلفين كل الاختلاف، فيقال:

Je vais- Tu vas- Il va

Nous allons, vous allez, ils vont

فهناك فِعْلان يتصرفان معاً، لا فِعْلٌ واحد، في حين أن الفعل العربي يَظَلُّ واحداً في كل تصريفاته.

وعَقَّبَ على ذلك بقوله: إن الصعوبة إذن ليست في اللغة نفسها، بل هي في أسباب أخرى خارجة عنها: من المنهاج، والكتاب المدرسي، والمعلم؛ ومتى صلحت هذه كلها استطعنا التغلب على المشكلة من أساسها.

وأضف قائلاً إن هناك شيئاً من الصعوبة الفعلية في قواعد الصرف والنحو، ولكن هذه الصعوبة تزول متى عرفنا كيف نتغلب عليها بالحكمة، وبأن لا نُعَلِّم الطلاب منها إلا ما هو أساسي، وعلى شكل دوائر: تبدأ صغيرة، ثم تكبر مع تعاقب الصفوف، ونُمو الطالب. وأما حين نعطي الطفل كلَّ صعوبات القواعد وهو ما يزال دون سنّ النضج، فنحن نضع العقبات في سبيل تعلُّمه للغة، ثم نلومه على التقصير في فهمها.

وشكّر الدكتور خليفة للمشاركين في الندوة تفضُّلاً بالحضور، وحسن تعاونهم بالمشاركة في مناقشة المشكلة، ووعده بأن يمضي المجمع في ندواته لخدمة اللغة العربية، معتمداً على مشاركتهم وتعاونهم وتشجيعهم للمجمع ولرسالته المقدسة.